

عنوان البرنامج: تقريب المذهب المالكي  
الوحدة الرابعة: الممارسة التقريبية على مستوى التصنيف في المذهب المالكي  
الدرس الثاني: جهود علماء المالكية في تقريب الأسمعة والروايات  
اسم المحاضر: الدكتور عبد الله معصر

## جهود علماء المالكية في تقريب الأسمعة والروايات

شكل الموطأ والأسمعة البنية الأساس للمذهب المالكي، وكانت الأسمعة الوعاء الذي صُبَّت فيه  
وجُمِعَت آراء مالكٍ الفقهية، فبواسطتها استطعنا أن نتعرف على الآراء الفقهية للإمام.

ولولا جهود العلماء الذين تلقوا العلم عن مالك،

ونقلوا هذه الآراء الفقهية،

لفاتنا علم كثير من علم مالك،

فقد بلغ ما أملاه مالك (في مذهبه نحوًا من مائة وخمسين مجلدا في الأحكام الشرعية، فلايكاد  
يقع فرع إلا ويوجد له فتيا) [الذخيرة للقرافيح 1ص33].

وهذه الأسمعة كان لها دور في تمتين الصلات بين علماء المذهب المالكي، وكانت من  
أهم الروافد التي بثت ماء الحياة في الفقه، وفي استئناف سؤال التقريب،

إذ كان تلاميذ الإمام مالك يكتبون إليه سائلين، فيجيبهم، قال سحنون: (كنت عند ابن القاسم  
وجوابات مالك ترد عليه) [ترتيت المدارك ج4ص46].

ومن هذه الأسمعة تكونت الأصول الأولى للمذهب، أو الأمهات والدواوين، كالمدونة، والواضحة،  
والعتبية، والموازية، والمجموعة، والمبسوط،

كما كان لها التأثير في قواعد الترجيح بين المدارس، فسماعات ابن القاسم مقدمة على سماعات

غيره.

وإذا كانت الأسمعة في البداية قد تميزت بالطابع الفردي، فإنها مألِثَتْ أن اتخذت طابعا مدرسيا،

فجمعت كل مدرسة سماعات من انتسب إليها من العلماء،

واعنتت بها،

وهكذا تعددت السماعات حتى لا تكاد تخلو ترجمة من تراجم تلاميذ الإمام مالك وتلاميذهم من مُصنّفٍ يجمع هذه السماعات.

فالمدونة حظيت باهتمام المدرسة القيروانية والمدرسة الأندلسية.

والمدرسة المصرية جعلت من سماعات ابن المواز البنية الأساس في التخريج والترجيح.

والمدرسة العراقية اتخذت من سماعات ابن عبد الحكم ومروياته (وخاصة في كتابيه المختصر الكبير، والأوسط) الأساس الأول -إلى جانب الموطأ- للاستنباط والتخريج.

ولم ينتقلوا إلى المدونة إلا على يد القاضي عبد الوهاب بن نصر.

وهكذا توالى اهتمام المدارس بسماعات تلاميذ الإمام مالك، وسماعات تلاميذهم، وتوالى تتبّع مصادرها، والمقارنة بين رواها.

وقد تجسد أول جمع رسمي لهذه السماعات بالأندلس في كتاب الاستيعاب الكبير الذي ألفه أبو بكر المعيطي القرشي، [ت367هـ] وأحمد بن عبد الملك الأشيلي الشهير بابن المكوي [ت401هـ] بأمر من الخليفة المستنصر بن عبد الرحمن [ت366هـ].

فجمعا في هذا الكتاب سماعات مالك، من مختلف المدارس، في مائة جزء [ترتيب المدارك ج 7 ص 121].

والخلاصة أن الأسمعة شكلت النواة الأولى لفقهِ مالك، وفقهِ تلاميذه وأرائهم موافقةً وخلافاً، فعليها بنى فقهاء المالكية فقهم، ومن مصادرها استقوا تخرجاتهم وترجيحاتهم.

المصادر

اصطلاح المذهب عند المالكية: محمد إبراهيم أحمد علي